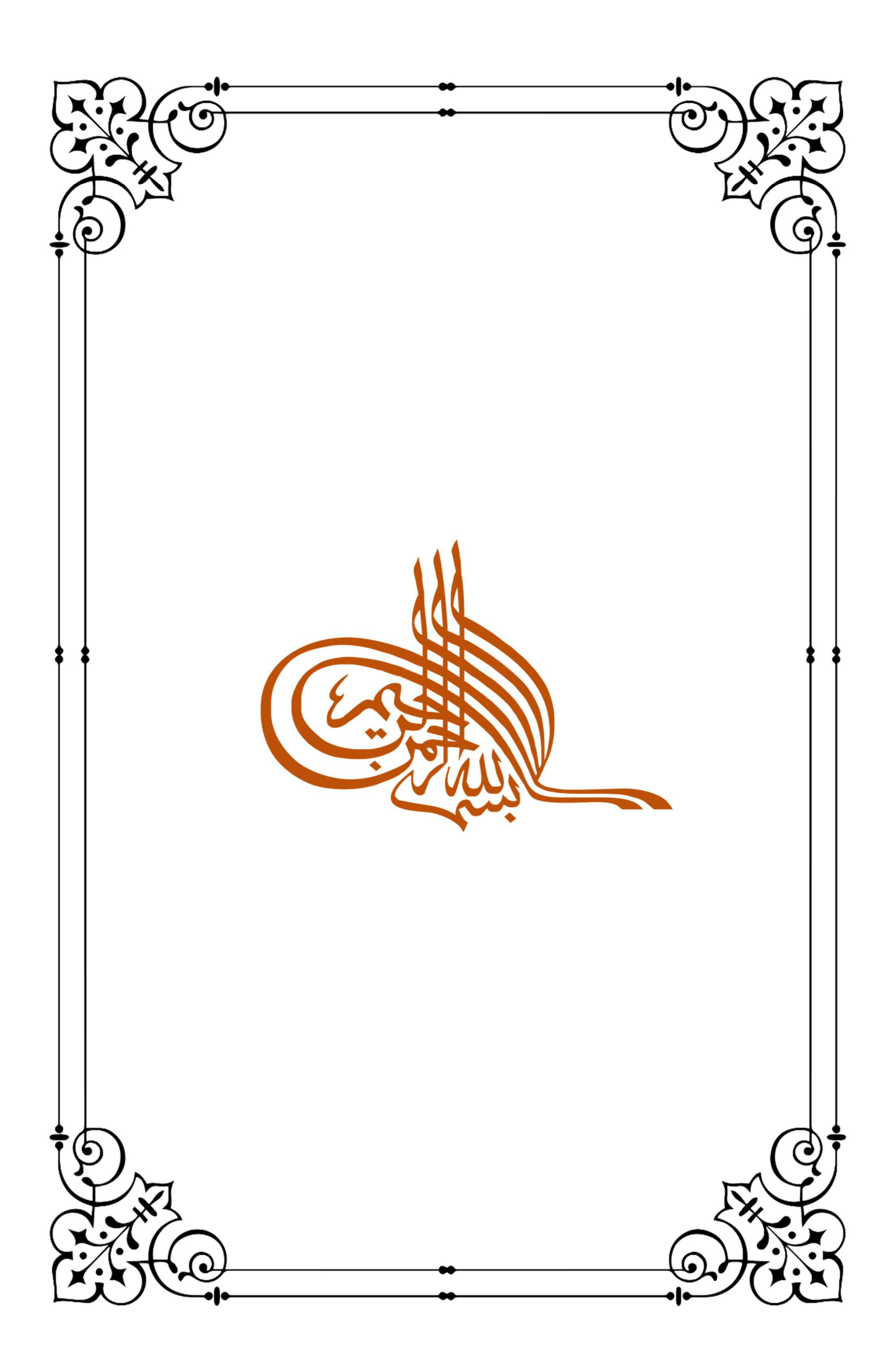



حُسْنُ الظَّنِّ باللَّه

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد





بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فمن تعظيم الله حسن الظن به جَلَّ جَلَالُهُ، فالعبد كلما ازداد معرفة بربه أحسن الظن به جَلَّ جَلَالُهُ.

وينبغي للمؤمن أن يكون حسن الظن بالله، عظيم الرجاء به، موقناً بحسن جزائه وعطائه وإحسانه، ولابد أن يكون واثقاً بحسن ظنه بالله أعظم من ثقته بحسن عمله؛ كيف لا، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رب كريم رحيم، واسع العطاء، عظيم الصفح والتجاوز، رحمته سبقت عذابه، ورضاه سبق سخطه.

ومن مُلِئ قلبه إيماناً وحُسْنَ ظنٍّ بربه جَلَّ وَعَلا فإنه السعيد، وما مُلِئ قلب امرئٍ إيماناً إلا ولازمه حُسْنَ الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإذا رزق اللهُ عبداً من عباده هذين الأمرين المتلازمين: الإيمان به وحسن الظن به جل وعلا؛ فإنها النعمة التي لا يدانيها نعمة، كيف لا وهي التي لا يؤتاها إلا مؤمن.

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ، **وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ**"(١).

فحسن الظن بالله من العبادات الجليلة التي ينبغي أن يملأ المؤمن بها قلبه في جميع أحواله ويصحبها في حياته، في هدايته، في رزقه، في صلاح ذريته، في إجابة دعائه، في مغفرة ذنبه، في كل شيء، وفي كل أمر في حياته.

فمن نِعَمِ الله عَزَّوَجَلَّ الإيمان وحسن الظن به، ومن علامة الشك والنفاق والرياء أن يكون المرء مسيئاً الظن بربه وغير محسن به الظنَّ جَلَّ وَعَلا، وقد وصف الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بهذا الأمر؛ أنهم مسيئون الظن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٦].

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أن سبب سوء الظن به سبحانه إنما هو الشيطان، ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

فمن أحسن الظن بالله فهو المحسن، والله يحبه، ومن أساء الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فإن الله يبغضه، ولا يسيء الظن بالله إلا المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات كما بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان بعض المؤمنين قد يحصل له في لحظة من اللحظات أن يضعف إيمانه

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" برقم (٨٣).

ويسوء ظنه بربه بما يقدِّره عليه، فيجب عليه حينها أن يراجع نفسه، وأن يفتش قلبه ويجدد إيمانه ويتوب إلى الله.

أولاً: ﴿ معنى حسن الظن بالله ﴾

حسن الظن بالله تعالى؛ هو قوة اليقين بما وعد الله تعالى عباده من سعة كرمه ورحمته، ورجاء حصول ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(١).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "**قيل: معناه: بالغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إليّ، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني؛ لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أَحسن ظنه بالله وقوى يقينه**"(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ يَرْحَمُهُ وَيَعْفُو عَنْهُ قَالُوا وَفِي حَالَةِ الصِّحَّةِ يَكُونُ خَائِفًا رَاجِيًا وَيَكُونَانِ سَوَاءً وَقِيلَ يَكُونُ الْخَوْفُ أَرْجَحَ فَإِذَا دَنَتْ أَمَارَاتُ الْمَوْتِ غَلَّبَ الرَّجَاءَ أَوْ مَحْضَهُ لِأَنَّ مَقْصُودَ الْخَوْفِ الِانْكِفَافُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْقَبَائِحِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَقَدْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ أَوْ مُعْظَمُهُ فِي هَذَا الْحَالِ فَاسْتُحِبَّ إِحْسَانُ الظَّنِّ الْمُتَضَمِّنُ لِلِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِذْعَانِ لَهُ**"(٣).

فحقيقة حسن الظن بالله أن تمتلئ قلوبُنا ببرد اليقين أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخلف وعده، فمن يكشف الكربات إلا الله؟ ومن يعافي المبتلين إلا الله؟ ومن ينصر المظلومين إلا الله؟ ومن يرد الغائبين إلا الله؟ ومن يفرج الهموم والغموم إلا الله؟ فكيف لا يحسن الظن به وهو الكريم الرحيم اللطيف، بيده الخير كله، إليه يرجع الأمر كله جَلَّ جَلَالُهُ وتعاظم وتقدس.

ولنا في قصص المؤمنين من الأنبياء والشهداء والصالحين عِبَرٌ من حسن ظنهم بالله:

---

(١) متفق عليه.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٧٢/٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٠/١٧).

فهذا نبي الله الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يأتي بزوجه هاجر وابنها الرضيع إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيتركهما بواد غير ذي زرعٍ، لا أنيس ولا جليس، ولا مأوى ولا طعام، ثم ينصرف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتقول له هاجر: أتدعنا في هذا الوادي ولا ماء ولا طعام؟ فيقول: إن الله أمرني بذلك وإن الله لن يضيعكم.

فكان إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمه من سكان البيت الحرام، وفتحت عليهما ماء زمزم، وأوت إليهما العرب، وصارت مكة داراً لملة التوحيد في ذرية نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وخرج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فارًّا بقومه من جبروت فرعون، وتبعه فرعون وجنوده حتى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ * قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

فغلبَ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرعونَ، فجاوز موسى وقومه البحر، وأغرق الله فرعون وجنوده.

وخرج محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ مهاجراً، وتبعته قريش يطلبون قتله وقتل صاحبه أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فخاف أبو بكر على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان يلتفت وينظر وراءه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يطمئنه ويقول: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، وقال: **«مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»**(١).

فنصر الله محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، فبلغ المدينة الطيبة، وصار له الظهور والنصرة على العرب بعد هجرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وذلك لما امتلأت قلوبهم بحسن الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هيأ لهم من الفلاح والنجاح والنجاة والرفعة والعلو في الدنيا والآخرة، فنصرهم ونجاهم وحفظهم.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -حينما سئل عن معنى حسن الظن بالله-: " **المعنى:**

---

(١) متفق عليه.

أنه يحسن ظنه بالله: أن ربه جواد، وأنه كريم، وأنه غفور رحيم سبحانه، وأنه يتوب على عباده إذا تابوا إليه، وأن فضله عظيم، يحسن ظنه بربه، مع الجد في العمل الصالح، مع التوبة، لا يحسن الظن بالرب، ويقيم على المعاصي، لا، يحسن ظنه بربه مع العمل الصالح، مع التوبة، مع الجد في الخير، أما إحسان الظن بالله مع الإقدام على المعاصي، والإصرار عليها؛ فهذا غرور لا يجوز، لكن يحسن ظنه بربه أنه يقبل توبته، وأنه يعفو عنه، ويجتهد في أسباب العفو من الصدقة، والرحمة للفقراء، وكثرة الاستغفار، والتوبة، والندم، والإقلاع، وكثرة الأعمال الصالحات، مع حسن الظن بالله، يحسن ظنه أن الله يقبلها، وأنه لا يردها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"[١].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "حسن الظن بالله أن الإنسان إذا عمل عملاً صالحاً يحسن الظن بربه أنه سيقبل منه، إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ يحسن الظن بالله أنه سيقبل منه دعاءه ويستجيب له، إذا أذنب ذنباً ثم تاب إلى الله ورجع من ذلك الذنب يحسن الظن بالله أنه سيقبل توبته، إذا أجرى الله تعالى في الكون مصائب يحسن الظن بالله، وأنه جل وعلا إنما أحدث هذه المصائب لحكم عظيمة بالغة، يحسن الظن بالله في كل ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الكون، وفي كل ما شرعه الله تعالى على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بأنه خير ومصلحة للخلق، وإن كان بعض الناس لا يدرك هذه المصلحة، ولا يدرك تلك الحكمة مما شرع، ولكن علينا جميعاً التسليم بقضاء الله تعالى شرعاً وقدراً، وأن نحسن به الظن؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهل الثناء والمجد"[٢].

---

(١) فتاوى نور على الدرب.

(٢) فتاوى نور على الدرب.

ثانياً: ﴿ الفرق بين حسن الظن والغرور ﴾

حسن الظن بالله لا يكون إلا بأمرين: فعل الصالحات، وترك المنكرات.

فلا يمكن إحسان الظن بالله من شخصٍ تارك لأوامر ربه، وغارق في المعاصي والشهوات.

فالعبد يمتثل الأمر ويجتنب النهي ويصلي ويصوم ويزكي ويحج ويفعل الطاعات ويجتنب المعاصي، وربما زلت قدمه في معصية، فيكون عنده حسن الظن بالله أنه إن عاد إليه وتاب فإنه يقبله ويغفر له ويستره.

أما أن يكون العبد لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ويفعل المعاصي والمحرمات ثم يقول أنا عندي حسن ظن بالله، فهذا كاذب، لأنه لو أحسن الظن لأحسن العمل.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: **"وإحسان الظن بالله لابد معه من تجنُّب المعاصي، وإلا كان أمنًا من مكر الله، فحسن الظن بالله مع فعل الأسباب الجالبة للخير وترك الأسباب الجالبة للشر هو الرجاء المحمود، وأما حسن الظن بالله مع ترك الواجبات وفعل المحرمات فهو الرجاء المذموم، وهو الأمن من مكر الله"**[(١)].

فالمؤمن يجمع بين حسن الظن وحسن العمل والخوف من الله تعالى، ولا تعارض بين هذا كلّه.

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أنها سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ ءَالِهِۦ وَسَلَّمَ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾، فقالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال لها نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ ءَالِهِۦ وَسَلَّمَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا

(١) المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان (٢/٢٦٩).

سَابِقُونَ﴾»[(١)].

فبعض الناس يظن أنه يحسن الظن بالله، فيقع في المنكرات والكبائر، ويرى أن رحمة الله تعالى واسعة وعفوه عظيم، ويقول: الله غفور رحيم، ويستمر على ما هو عليه، وما علم أن كثرة الخطايا دون التوبة منها تحرم الإنسان من كل خير.

قال المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"من عَلامَة حسن الظَّن بِاللَّه شدَّة الِاجْتِهَاد فِي طَاعَة الله"**[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَلَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ، وَيَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ الْمُصِرُّ عَلَى الْكَبَائِرِ وَالظُّلْمِ وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ وَحْشَةَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالْحَرَامِ تَمْنَعُهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ"**[(٣)].

فكيف يكون المرء محسناً الظن بربه وقد هان عليه حقُّ ربه وأضاع أمر الله عَزَّوَجَلَّ وهان عليه نهيُ الله فارتكبه وأصر عليه؟!

إذن هناك فرق بين حسن الظن والاغترار، وهو أن حسن الظن يدفعنا إلى تصحيح الأخطاء والانطلاق إلى كل ما يرضي الله، وأما الاغترار بالعفو فيجعل الإنسان يطمع في ارتكاب ذنوب أكثر، دون أن يعود إلى الله بالتوبة.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَسَاءَ الظَّنَّ فَأَسَاءَ الْعَمَلَ"**[(٤)].

فعلى العبد أن يتجنب محذورين في هذا الأمر: المحذور الأول هو اليأس والقنوط من

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣١٧٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٢).

(٢) آداب النفوس (

(٣) الداء والدواء (صـ٢٥).

(٤) الزهد للإمام أحمد بن حنبل برقم (١٦٤٧).

رحمة الله، والمحذور الثاني هو الأمن من مكر الله، فلا يكتفي بالرجاء وحده وحسن الظن بالله من غير إحسان العمل، فإن هذا من أمن مكر الله، وفي المقابل أيضاً لا يغلِّب جانب الخوف بحيث يصل به إلى إساءة الظن بربه فيقع في اليأس والقنوط من رحمة الله، فالواجب عليه أن يحسن الظن مع إحسان العمل.

ثالثاً: ﴿ الترغيب في حسن الظن بالله ﴾

من أحسن ظنه بالله أعطاه الله إياه، فمن ظن بالله خيراً ناله الخير، ومن ظن بالله غير ذلك ناله ما ظنَّه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ**»(٢).

والمعنى: "**أُعَامِلُهُ عَلَى حَسَبِ ظَنِّهِ بِي، وَأَفْعَلُ بِهِ مَا يَتَوَقَّعُهُ مِنِّي، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ**"(٣).

فإن ظننت به المغفرة غفر لك، وإن ظننت به الرحمة رحمك، وإن ظننت به سعة الرزق رزقك.

وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ، **وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ **الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ **ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ**"(٤).

قال سُهَيْلٌ الْقُطَعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا يَحْيَى لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: "**قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ، مَحَاهَا عَنِّي حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ**"(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٥/٣٥) برقم (٩٠٧٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٦٣).

(٣) تحفة الأحوذي (٧/٥٣).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" برقم (٨٣).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" برقم (٧).

رابعاً: ﴿ لماذا نحسن الظن بالله تعالى؟ ﴾

١. لأن فيه امتثالاً واستجابةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٢. أن له ارتباط عميق بالتوحيد، فهو مثلاً مرتبط بالتوكل على الله والثقة به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن درجات التوكل على الله: "**الدَّرَجَةُ الْخَامِسَةُ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَعَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ. يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ**"[١].

٣. الأثر الإيجابي الذي يتركه حسن الظن بالله في نفس المؤمن، في حياته وبعد مماته، من أحسن الظن بربه وتوكل عليه حق توكله؛ جعل الله له في كل أمره يسراً، ومن كل كرب فرجاً ومخرجاً، فاطمأن قلبه وانشرحت نفسه وغمرته السعادة والرضى بقضاء الله وقدره.

٤. فيه النجاة والفوز بالجنة ورضى الرحمن، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[٢].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٩٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٧٧).

خامساً: ﴿ كيف نحسن الظن بالله تعالى؟ ﴾

ينبغي على المسلم أن يعلم ما هي الأمور التي تساعد على إحسان الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن هذه الأمور:

١- معرفة الله بأسمائه وصفاته:

من أهم الأمور التي تعين على إحسان الظن بالله معرفة الله بأسمائه وصفاته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيِسَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ"**[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"العلمَ بالله أصلُ كلِّ علم، وهو أصلُ علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته"**[(٢)].

٢- أن يعلم المسلم أن في امتثاله لهذا الأمر استجابة لله تعالى وامتثالاً لأمره ولوصية رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"أكمل النَّاس حَيَاة أكملهم استجابة لدَعْوَة الرَّسُول فَإِن كَانَ مَا دَعَا إِلَيْهِ فَفِيهِ الْحَيَاة فَمن فَاتَهُ جُزْء مِنْهُ فَاتَهُ جُزْء من الْحَيَاة وَفِيه من الْحَيَاة بِحَسب مَا اسْتَجَابَ للرسول"**[(٣)].

٣- أن يدرك المسلم أهمية حسن الظن بالله، ومدى أثره على النفس المؤمنة في

---

(١) زاد المعاد (٣/٢٠٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٣٩).

(٣) الفوائد (صـ٨٨).

حياتها وحتى الممات.

٤- معرفة حال السلف ومدى تمسكهم بهذا الأمر وحثهم عليه؛ ففي هذا دافع عظيم في الاقتداء بهم.

سادساً: ﴿ مواطن حسن الظن بالله ﴾

ينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله في كل موطن وحال، فإنما نحن بالله، ولا حول ولا قوة لنا إلا به، ويتأكد حسن الظن بالله في مواطن، منها:

١- عند الاحتضار:

يتأكد حسن الظن بالله في حال الضعف والافتقار كحال المحتضر، فإنه أولى من غيره بإحسان الظن بالله جل وعلا، ولا شك بأن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد دلنا وأرشدنا إلى حسن الظن في هذا الموقف العصيب.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ»[١].

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**أَيْ لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَفِي حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُ**"[٢].

فحسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ يجب أن يكون صفة المؤمن وملازم له طيلة حياته، ويتأكد أكثر عند مماته حتى يأتيه الموت وهو محب للقاء الله؛ فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فكره لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**»[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٧٧).

(٢) عون المعبود (٨/٢٦٥).

(٣) متفق عليه.

دخل وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ، قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَاثِلَةَ، فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ وَوَجْهِهِ لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: وَاحِدَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ، وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ. قَالَ وَاثِلَةُ: أَبْشِرْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»(١).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي المـَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المـَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»(٢).

وعن حَاتِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: أَجِدُنِي أَمُوتُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ: عَلَى أَيَّةِ حَالٍ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: "**مَا نُعَوِّلُ إِلَّا عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ**". قَالَ: فَمَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى مَاتَ(٣).

٢- عند الشدائد والكرب:

الحياة لا تخلو من الهموم والغموم والابتلاءات المتوالية، فهي إن أسعدتنا يوماً أبكتنا أياماً، فيشرع للعبد أن يحسن الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عند الهم والغم، والشدة والكرب، وذلك بأن يستشعر أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فارجٌ لهمومنا كاشفٌ لغمنا، لأن القلوب قد تتزعزع، فإذا أصاب المسلم من الهم تتغير حاله، فيصاب بالوحشة، وضيق الصدر فيستسلم للشيطان، ويظهر عليه اليأس والقنوط والشكوى، فيشكو أمره إلى كل من يجالسه أو يهاتفه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٥/٣٩٨) برقم (١٦٠١٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٦٣).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٩٨٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦١٢).

(٣) المحتضرين لابن أبي الدنيا برقم (٢٠٩).

دون أن يجاهد نفسه طرفة عين، وعلى المسلم حين تأتي هذه المصائب والهموم أن يقبل عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيقول: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، والله تعالى يقول بعدها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]، فإنه متى ما أحسن العبد ظنه بربه، فتح الله عليه من بركاته من حيث لا يحتسب، فعلينا أن نحسن الظن بربنا حتى نرى من الله ما يسرنا.

٣- عند ضيق العيش ونزول البلاء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ**»(١). وإنزالها بالله: أن توقن وتحسن الظنَّ بأن الله تعالى يفرّجُ عنك ويزيلها.

فإذا كان حسن الظن بالله حاضراً كان الرضا بالقضاء والقدر موجوداً، فإذا جاء المقدور الذي هو الضرُّ والبلاء رضي به، ولم يتسخط، فهذا نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عند نزول البلاء به قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، وقد كان أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ غاية في الصبر، ثم جاءه الفرج: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٤].

٤- عند غلبة الدَّين:

قال الزُّبَيْرِ بنُ العَوَّامِ لابنه عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ**". قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: "**اللَّهُ**"، قَالَ: "**فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ**

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨٣٨).

فَيَقْضِيهِ"[١].

وهذا من حسن ظنه بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وثقته به.

٥- عند الدعاء:

أمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بدعائه وتكفل بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فإذا دعا المسلمُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؛ ظنَّ أن الله سيجيب دعاءه.

ثم بين لنا سبحانه سعة فضله وعظيم كرمه وقربه من عبده، وأن المسلم كلما قرب من ربه عَزَّوَجَلَّ ازداد الله منه قرباً، وقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك في كتابه فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[٢].

ومن معنى اليقين أن يعتقد بأن الله قد سمع الدعاء وأنه مجيب الدعاء، إذا حقق آداب الدعاء، وانتفت الموانع، فإن حدث أن تأخرت الإجابة فلا نستعجل؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أخبرنا أنه: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[٣]، وهكذا يظل العبد متعلقاً بجميل الظن بربه، وحسن الرجاء فيما عنده.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٦١).
(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٤٥).
(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٩٨١).

قال الشاعر:

وإِنّي لأدعو الله حتى كـأنَّني أرى بجميل الظنّ ما الله فاعلُهْ
أمُـدُّ يـدي في غير يـأسٍ لعـلَّه يجود على عاصٍ كمثلي يواصلُهْ

٦- عند التوبة:

والتوبة من العبادات الواجبة على المؤمنين جميعاً قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، ولا يتصور حصول التوبة من العبد المذنب الخطّاء وهو غير محسن لله، فإذا أذنب وتاب واستغفر ظن أن الله سيقبل توبته ويقيل عثرته ويغفر ذنبه.

فالمسلم يوقن بسعة رحمة الله، وأنه يقبل التوبة عن عباده وأنه يعفو عن السيئات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**»(١).

أي: ما دمتَ أنَّك تذنب وتتوب فإني أتوب عليك ولو تكرر الذنب منك.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٨).

سابعاً: ﴿ ثمرات حسن الظن بالله ﴾

١- ينال العبد بحسن ظنه بربه كل ما يرجوه:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "**وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ، حَسَنَ الرَّجَاءِ لَهُ، صَادِقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَهُ فِيهِ الْبَتَّةَ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَ آمِلٍ، وَلَا يُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ**"[(٢)].

٢- السخاء والكرم:

من حسن الظن بالله أن ينفق المسلم ماله في سبيل الله، ولا يخش القلة والفقر، بل يوقن أن الله سيخلف عليه خيراً، وينمي ماله ويبارك فيه.

فحسن الظن بالله يورث العبدَ السخاء والكرم؛ لأنه حينما ينفق ماله في سبيل الله أو في مصالح المسلمين فهو يحسن الظن بالله بأنه سيخلف عليه خيراً مما أنفق، فلا يخاف فقراً ولا يخشى ذهاب ماله، ولذلك تجد البخيل يحرص كل الحرص على عدم إنفاق شيءٍ من ماله خوفاً من ضياعه.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: "**نظرت في السخاء فما وجدت له أصلًا ولا فرعًا إلا حسن الظن بالله** عَزَّ وَجَلَّ**، وأصل البخل وفرعه سوء الظن بالله** عَزَّ وَجَلَّ"[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٩٨٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/١١٧).

(٣) شعب الإيمان (٧/٤٤٠) برقم (١٠٩٠١).

وقال بعضهم: "**إن لله تعالى عباداً ينفقون على قدر بضائعهم، ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى**"(١).

فهم ينفقون أموالهم في سبيل الله دون حساب، بل ينفقونها بظنهم الخير بربهم، وأن المقابل منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أكبر وأعظم مما أنفقوا، سواء أكان هذا المقابل في الدنيا أم في الآخرة.

٣- استجابة الدعاء:

كلما كان العبد حَسَنَ الظن بالله، فإن الله لا يخيب أمله فيه أبداً، فإنه سبحانه لا يخيب من دعاه. ومر معنا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ**»(٢).

وهذا يدلنا على أن حسن الظن بالله سببٌ لإجابة الدعاء، فمن ظن بالله خيراً في إجابة دعائه حقق الله له رجاءه، وأعطاه سؤله، وكفاه ما أهمه، وأعاذه مما أغمه، وما ذاك إلا بسبب إيقانه بالإجابة وحسن ظنه.

وعَنْ سَلْمَانَ الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(٣).

٤- حسن الظن بالله سبب لحصول التوكل والتفويض لله في كل الأمور:

التوكل على الله تعالى والثقة به، حيث إنك لا تتوكل إلا على من تحسن الظن به؛ ومن دون حسن الظن بالله تعالى لا يمكن للعبد أن يُحَصِّل عبادة التوكل عليه، والله تعالى يقول: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

والتوكل على الله يقوم على ركنين أساسيين: الثقة بالله والاعتماد عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٠٩).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٤٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٧٠).

﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]، أي فهو يكفيه ويغنيه عن غيره.

فإن من أحسن الظن بربه وتوكل عليه حق توكله؛ جعل الله له في كل أمره يسراً، ومن كل كرب فرجاً ومخرجاً.

وكان سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدعو: "**اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك**"(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**فَعَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ. يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ**"(٢).

٥- حسن الظَّن بِاللَّه أقرب الطرق إِلَى الْفرج:

من أحسن الظن بربه وتوكل عليه حق توكله جعل الله له في كل أمره يسراً، ومن كل كرب فرجاً ومخرجاً، قَالَ بعضهم: "**اسْتعْمل فِي كل بلية تطْرُقُكَ حسنَ الظَّن بِاللَّه** عَزَّوَجَلَّ **فِي كشفها؛ فَإِن ذَلِك أقرب بك إِلَى الْفرَج**"(٣).

فإذا أصابك بلاء أو هم أو كرب فالجأ إلى كاشف الكرب جَلَّجَلَالُهُ، وانطرح بين يديه، وتذلل له، واسأله صدقاً أن يرفع عنك ما أصابك.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

---

(١) حلية الأولياء (٤/٢٧٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٩٦).

(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/١٥٤).

٦- حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ من أسباب حسن الخاتمة، وسوء الظن بالله من أسباب سوء الخاتمة:

فينبغي للعبد أن يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم الناس شيئاً، وهو عند ظن عبده به، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»[١].

فمن دنا منه الموت لابد أن يحسن الظن بربه، وأن يعلم بأنه واردٌ على رب رحيم كريم غفور، يغفر الذنب، ويستر العيب، فيكون في لحظاته الأخيرة محسناً الظن بربه، ولا يسيء الظن به.

قال المـزَنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: دخَلْتُ عَلَى الشافعيّ في عِلَّتِه التي ماتَ فيها فقلتُ له: أبا عبدِاللَّهِ كيفَ أَصْبَحْتَ؟ قال: أَصْبحتُ مِنَ الدُّنيا رَاحِلاً، ولإخْوانِي مُفارِقًا، وبكأْسِ المنِيَّةِ شَارِبًا، وعلَى اللَّهِ تعالَى وارِدًا، ولا أَدْري نَفْسِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فأُهَنّيها أَمْ إِلَى النارِ فأُعَزِّيها، ثمَّ بكى وقال:

ولما قسا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ سَيِّدِي تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا[٢]

٧- حسن الظن بالله سبب للنجاة من العذاب:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ، فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا**»[٣].

---

(١) متفق عليه.
(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/٢١٧).
(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٣٢١).

إذا طمع العبد في ربه وأحسن ظنه فيه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينجيه ويحقق أمانيه؛ فهو سبحانه رؤوف رحيم بعباده، وقد جعل الجنة دار النعيم المقيم لعباده المتقين المؤمنين.

وفي هذا الحديث يخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه يخرج من النار أربعة رجال -قيل: هم الآخرون خروجاً منها- فيعرضون على الله عَزَّوَجَلَّ؛ ليقضي فيهم أمره، وهم من أهل التوحيد، ولكن يدخلون النار تخليصاً للذنوب والمعاصي، فيلتفت أحد الأربعة -بعد أن يؤمر به إلى النار امتحاناً، كما بينته رواية أحمد-؛ فيقول منادياً الحق سبحانه: أي رب، لقد كنت أرجو وأطمع في فضلك وجودك؛ أنك إذ أخرجتني من النار، ألا ترجعني إليها، فيخلصه الله عَزَّوَجَلَّ من النار، ولا يرده إليها، ويدخله الجنة، كما في رواية ابن حبان.

فلما أحسن هذا العبد ظنه بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وعلم أن له رب يعفو ويغفر؛ كان الجزاء أن نجاه الله عَزَّوَجَلَّ من النار وأدخله الجنة.

٨- حسن الظن بالله سبب للمغفرة والرحمة:

من أَثَر حسن الظن بالله على المؤمن أنه عندما يسمع ما يخبر به الله تعالى عن نفسه من أنه عفوٌ غفور وتواب رحيم، فإنه يطمع بعفوه، فيطرق بابه منطرحاً بين يديه راجياً مغفرته، وأن يتوب عليه من معاصيه.

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

فمن عرف ربه وكرمه وجوده؛ طَمِعَ في عفوه، قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٩).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

يَا رب إِن عظمت ذُنُوبِي كَثْرَة فَلَقَد علمت بِأَن عفوك أعظم
أَدْعُوك رب كَمَا أمرت تضرعا فَإِذا رددت يَدي فَمن ذَا يرحم
إِن كَانَ لَا يرجوك إِلَّا محسن فَمن الَّذِي يَرْجُو الْمُسِيء المجرم
مَالِي إِلَيْك وَسِيلَةً إِلَّا الرجا وَجَمِيل ظَنِّي ثمَّ أَنِّي مُسلم

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٥٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٣٨).

الخاتمة

يجب على المرء أن يحذر من دخول اليأس والقنوط إلى قلبه، وعليه أن يحسن الظن دائما بربه، مع حسن العمل، فهو المخرج من الضيق والكروب والهموم والفتن.

فمهما بلغت الذنوب ومهما كثرت الخطايا فلا ينبغي أن نيأس ونقنط من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح لا يغلق في وجه أحد، عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبٍ الْمَمْدُودِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «**فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟**» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ**»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى[1].

وكيف لا يحسن ظننا بالله وما رأينا منه إلا الخير والجميل، وما بنا من نعمة إلا منه، خلقنا وهدانا، وكفانا وآوانا، وأطعمنا وسقانا، ومن كل ما سألناه أعطانا: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢].

اللهم اجعل قلوبنا عامرة بالإيمان وحسن الظن بك، اللهم نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ونسألك حسن الخاتمة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/٣١٤) برقم (٧٢٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣١٦٤).